تقنين الاحتلال

Avi Plascov, A Palestinian State Examining the Alternatives
(دولة فلسطينية؟ تفحّص البدائل)
London: Adelphi papers, 1981, ?p.

يمهّد المعهد الناشر لهذه الدراسة (المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، لندن) ــ كما هو معتاد ــ بالاشارة إلى كونها تعبر، حصراً، عن رأي المؤلف. ومع ذلك، فنشرها يكتسب، في هذا الظرف بالذات، مغزى غير خفي. فالكاتب اسرائيلي، عمل أثناء اعداد الدراسة باحثاً في المعهد المذكور، وخرج باستنتاجات (أو أفكار مسبقة) لصالح قيام «دولة» فلسطينية. ولكن لماذا؟ وأية دولة؟ تكمن، هنا، في رأينا، ميزة البحث وأهمية الحجج التي يسوقها. فهي تصوغ، صراحة، ما يدور ضمناً في أذهان قطاع لا بأس به ضمن المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ويوجه مواقفه السياسية.

لماذا لا بدّ من قيام «دولة» فلسطينية؟ من موقع مقارب لناحوم غولدمان ينطلق بلاسكوف من «أن الزمن ليس في صالح اسرائيل. وعليها أن تدرك أن من مصلحتها التخلص من هذا العبء [الفلسطينيين]»، (ص ٥٣). اعتبار براغماتي إذاً، يدفع الكاتب إلى تفحص بدائل التخلص من هذا العبء، بدلاً من الغوص في محاججات تاريخية ومنطقية حول حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

ولأن الاعتبارات براغماتية، فلا يدور أي حديث عما يريده الفلسطينيون، بل يدور حول ماذا «نريد» للفلسطينيين؟ هنا تثار البدائل في مظهر علمي أكاديمي يفاضل بين الحجج. لكننا سنلاحظ، طوال الدراسة، أن هذا المظهر يخفي باطناً معكوساً تماماً. فلدى الكاتب قناعة مسبقة تسوق النقاش سلفاً إلى خيار محدد. لذا يضطر، حينما تعوزه الحجة التاريخية، إلى رفض غير مسبب لبعض البدائل، أو إلى رفض ينطلق من «لا عملية» مقترح ما، كما هو الحال مع الدولة الثنائية القومية أو الدولة القائمة على أساس قرار التقسيم لعام ١٩٤٧. ان بلاسكوف يبحث عن حل نهائي لقضية الشرق الأوسط، لكنه يعلن مسبقاً أنه غير معني إلا بالحلول الممكنة، أي الحلول التي توافق عليها الأطراف المعنية، أو التي يحتمل أن توافق عليها. ولكن ضمن أي منظور تاريخي، يبني بلاسكوف توقعاته؟ فتاريخ الصراع القريب يبين أن اسرائيل رضخت لمواقف لم يتوقع أحد قبولها بها قبل عشر سنوات. كما أن محاججته للبدائل المطروحة غالباً ما تشير إلى ما ترفضه اسرائيل، لكنها نادراً ما تشير إلى ما ترفضه الأطراف الأخرى. زد على ذلك أن الكاتب يفترض، ببساطة، احتمالات تغير جذري في أوضاع الأردن أو مصر لكنه لا يفترض مثل ذلك قط في حالة اسرائيل.

ومع ذلك، من الأهمية بمكان عرض وجهات نظر بلاسكوف، لأنها كما يبدو ليست بعيدة عن أفكار حزب العمل وبرنامجه، هذا إن لم تكن مستوحاة منها. ويجيز لنا هذا الافتراض أن الكاتب نفسه يتعامل مع بعض النصوص،